الحثيون

ادّت الاكتشافات التنقيبية في الخمسين سنة الاخيرة الى ما لم يكن يُحلم بهِ من وجود امة قوية جدًّا في شمالي سورية وان شئت فقل ولايات حثية متحدة تألفت منها مملكة تجارية حربية خضع لها يوماً كل شمالي سوريا وسواد العراق ومعظم ما بين النهرين واغلب اسيا الصغرى

ويقول بعض كبار الباحثين انها اجتازت من هناك الى قبرص ومعظم جزر الارخبيل اليوناني والى بلاد اليونان ومكدونيا وتجاوزت من هناك الى ايطاليا حاملة معها تمدنها من علم وصناعة بما لا ينقص عما فعلتهُ اختها الامة الفينيقية العظيمة

يقول كثيرون ومنهم الاستاذ سايس المستشرق الانكليزي الشهير ان اصل هذه الامة العظيمة طوراني وانها جاءت من الاوضين بين بحر قزبين والبحر الاسود « ان لم يكن الى ابعد من ذلك شرقاً » واستولت على كبدوكيا وامتدّت من هناك شمالاً وغرباً وجنوباً وجعلت عاصمتها اخيراً في كركيش وما زالت فيها حتى هاجمها الاشوريون واستولوا على عاصمتها وحينئذٍ انقرض ملك هذه الامة العظيمة وحلّ محلها الاشوريون ثم البابليون في ايام نبوخذنصر بعد معركة هائلة جرت بينهُ وبين المصريين . وكان نخو ملكهم اجتاح فلسطين وسوريا واستولى على كركيش ليقف في وجه البابليين ويصدهم عن اجتياح سوريا وفلسطين ليستلحقها بمملكتهِ فسار اليهِ نبوخذنصر الى كركيش والتحم بينهما القتال فانكسر المصريون شر كسرة وانهزموا الى بلادهم لا يلوون على شيء

واستولى على كركيش من بعد البابليين الفرس والماديون وبعد هؤلاء صارت الى الاسكندر المكدوني ثم الى قوادهِ من بعدهِ ومنهم الى الرومانيين . وتقلبت الاحوال على كركيش وتلوّنت بها الايام كثيراً الى ان عمها الخراب اخيراً وتنومي امرها قروناً بل تنومي اسمها الاول اعني كركيش وسميت باسم آخر . وبهذا الاسم الآخر اعني جرابلس (هيرابوليس) تعرف خرائبها في الوقت الحاضر

السبب في خراب هذه المدينة وتناسي اسمها

والسبب في ذلك على ما ارى انها بعد ذهاب اهلها تجار ما بين النهرين وشمالي سوريا واسيا الصغرى الخ تراجعت عن عظمتها شيئاً فشيئاً وانتقل عزّها التجاري ايام ملك نبوخذنصر الطويلة الى بابل .ولما قامت الدولة المادية الفارسية لم يعنَ الفرس بها لانها ليست من مدنهم ولبعدها نوعاً عن مركز دولتهم فزاد انحطاطها انحطاطاً وتراجعها تراجعاً . ولما انتقلت الدولة منهم الى اليونان استجدّ هؤلاء مراكز تجارية غيرها ولعلها كانت صارت في ايامهم الى قرية حقيرة ان لم تكن كانت قد صارت الى الخراب التامّ فجددوا بنيانها حينئذٍ لحسن موقعها التجاري وللاعتبار الذي كان لها قديماً ودعوها بلغتهم « هيرابوليس » ولا يبعد ان يكون مناسباً في المعنى لاسمها القديم . ويلوح لي انهُ على الراجح ترجمة لهُ . وتغلبت على اهلها اليونانية بكثرة الذين استوطنوها منهم فغلب من ثم اسمها الجديد على اسمها القديم اولاً لغلبة العنصر اليوناني فيها وثانياً لان اسمها اليوناني كما اشرنا ورجحنا هو ترجمة لاسمها القديم . وبيان ذلك ان اسمها الاصلي يمكن ان يحلل كما ارى الى كلتين كير او قير وكيش او كوش وكوش اسم اله عند الموآبيين يقرب في المنزلة من البعل عند الكنعانيين والصيدونيين. ومعنى قير قرية او كورة في الراجح وعليهِ يكون معنى كركيش قرية كيش او كوش . وهيرابوليس معناها مدينة هيرا . وهيرا اسم اله عندهم فالمناسبة اذن بين معنيي الاسمين او الترجمة ظاهرة كل الظهور ومما لا يخفى على متأمل

لنرجع بعد الاستطراد الذي استطردناهُ الى رأي الاستاذ سايس فنقول:— يظن الاستاذ ان اصل الحشيين طورانيّ جاؤوا الى سوريا من الشمال مما بين بحر قزبين والبحر الاسود او تقول بوجه اعم من شرقي اسيا الصغرى وهو رأي جماعة غيره من المشهورين على انفراد او متابعة لهُ . والذي اراهُ ان الحشيين هم اخوان الصيدونيين من ابناء كنعان المشار اليهِ في الاصحاح العاشر من سفر التكوين ومهاجرهم واحدة اي شبه جزيرة العرب وكان سيرهم في غزوهم ومهاجرتهم من الجنوب الى الشمال . وبعبارة اوضح كان سيرهم من حضرموت وعمان وارض اليمن الى العراق وارض بابل وما بين النهرين

ومن شمالي بابل عرّجت بطون منهم الى شمالي سوريا واستمرت بطونهم الاخرى على سيرها شمالاً تتابع الفرات وتقيم لها حيث حلّت المراكز التجارية وفي الوقت نفسه كانت تقيم الحصون والمعاقل الحربية لحماية تلك المراكز التجارية. والظاهر من التنقيب لحد الآن انهم احتلوا كل شمالي سوريا قبل ان اتخذوا كركيش مركزاً لتجارتهم وعاصمةً او معقلاً وملاذاً لهم. وارجح ان هؤلاء الحثيين هم الذين يعرفون في تواريخنا العربية بالدولة النبطية وان العراق كان دار هجرتهم الاول وبابل بيت مقدسهم المشترك. وارجح ايضاً انهم هم والهكسوس (١) من القبائل العربية المتحالفة كما سنسمع الى ذلك وان تلك القبائل تحت رياسة الحثيين او النبط افتتحوا العراق وسوريا ومصر وأنّ فتوحاتهم في ذلك الحين كانت اشبه بفتوحات العرب الاخيرة تحت الراية الاسلامية والرياسة القرشية العدنانية. وان ما حصل في الفتوحات الاسلامية هذه حصل مثله في الفتوحات الحثية القديمة

ان عارفاً بالفتوحات العربية الاسلامية لا يلبث ان يرى الاختلاف بين عليّ ومعاوية ويرى معظم اليمانية والقرشيين في جانب معاوية في الشام ومصر ومعظم العدنانية والانصار في جانب عليّ في العراق. ثم لا يلبث ان يرى الاختلاف بين عبد الله بن الزبير وبين عبد الملك بن مروان ويرى الاول يقاتل حتى يقتل تحت استار الكعبة وليس حوله الاّ بضعة من الرجال بعد ان كانت العربية والعراق من مشايعيه وانصاره

---

(١) الهكسوس على ما ترجح لفظ مركب من هيق وسوس ومعنى هيق ذكر النعام ومن الرجال الفرط الطويل وجاء في لسان العرب — وفي حديث احد المخذل عبد الله بن ابي في كتيبة كانه هيق يقدمهم . الهيق ذكر النعام يريد سرعة ذهابه اه

ومعنى سوس الحثين وقد حفظت العبرانية هذا المعنى لهذه اللفظة واما العربية فلم يبق فيها الا الاشارة البعيدة اليه في كلة سائس فانه عند الاطلاق ينصرف الى من يسوس الخيل فتأمل وعليه فيجوز ان يفهم من التركيب اما ملوك الخيل او اصحاب نعام الخيل والارجح انهم كانوا فرساناً وادخلوا الخيول الى وادي النيل فكثرت فيه حتى اصبحت مصر مصدراً للخيل ومركزاً لتجارتها فيما بعد

ثم لا يلبث ان يرى شيعة العباسيين ومعظمهم من خراسان تحت قيادة ابي مسلم يقاتلون الامويين المرواتيين في خراسان وفارس وارمينيا والجزيرة وما هو الا ليلة وضحاها حتى يرى الخلافة العباسية في بغداد وعلمها يخفق في الافاق ويرى العراق سائداً والشام مسوداً بعد ان كان الشام آمراً عزيزاً والعراق مأموراً ذليلاً يسوق الحجاج أهلهُ بعصا الامويين سوق الانعام وقد انقرضت خلافتهم من الشرق آخر الدهر بعد ان كانت تهزُّ المسكونة من بحر الظلمات (الاوقيانوس الاتلنتيكي) غرباً الى حدود الهند شرقاً مدى قرنين فاصبحت

كأنْ لم يكن بين الحجون الى العقا انيس ولم يسمر بمكة سامرُ

ثم لا يلبث ان يرى الاندلس مملكة مستقلة عن الشام وبغداد معاً ذات حول وطول ولها امير مؤمنين على انفراد لا تعطي مقادتها لابي جعفر المنصور ولا لابنهِ المهدي ولا لابن هذا الهادي حتى ولا لاخيهِ هرون الرشيد ولا لابنيهِ المأمون والمعتصم على ما وصلت اليهِ خلافتهم من الابهة والغنى والجاه ولاسيما اثناء وزارة البرامكة المشهورين ووزارة الفضل والحسن ابني سهل

ثم لا يلبث راه ان يرى الدولة العبيدية في المغرب ومصر دون العباسيين ثم لا تلبث حتى تنتزع فلسطين والشام من ايديهم وتصبح دولة كادت تغطي على الدولة العباسية في الغنى والجاه والسطوة واتساع دائرة الملك

دع الاندلس جانباً ودع كذلك الدولة العبيدية وخلفاءها الفاطميين وانظر الى ما حدث في خراسان وشرقي النهر وما قام هنالك بعد المعتصم والواثق من الدول والامارات وما كان بينهم من المنازعات والاختلافات حتى تكاد لا تغطن ان هنالك دولة او خلافة عباسية بل يذهب عن ذهنك جملةً انّ هاتهِ الدول انما هي ولايات من ولايات دولة عربية استبدّ ولاتها فيها بالاحكام بدافع ما اصاب خلفاءها من الوهن والعجز لانهما كهم في الملاذ والحظوظ النفسانية واستمرارهم على ذلك حتى تجرأ عليهم اخيراً ملوك الديلم البويهيون واندمقوا عليهم في بغداد كرسي خلافتهم وموطن عزهم فاصبحوا هم الآمرين الناهين والخلفاء من العباسيين فزاعة لها صورة الملك وشيء من اسمهِ ومظهرهِ الخارجي والملك في الحقيقة لهؤلاء المتغلبين

افرض ان كانت الايام طمست على ما نعرفهُ من آثار الدولة العربية الاسلامية كما طمست على آثار الدولة الحبشية وذهبت عنا بما نعرفهُ من تاريخها المفصل المكتب ولم يبق لنا عنها الاَّ آثار كالآثار الحبشية وبقايا خطوط كوفية غريبة ضاعت عنا الصلة بينها وبين بقية الخطوط الباقية الى الآن — فاذا كنا نظنّ بها . اكان من السهل علينا ان نرى اصلها ومنشأها في مكة من ارض الحجاز وان القائمين بها اول الامر كانوا عصبة دينية صغيرة لم يتجاوز عددهم الاربعين الاَّ بعد سنين من دعوتهم . ثم لما عظم امرهم شيئاً بزيادة اعدادهم من الموالي والمستضعفين قام عليهم الملأ في مكة وضيقوا عليهم الخناق حتى هرب معظمهم الى الحبشة ولم يبق الاَّ ذوو الجوار منهم . ثم اضطروا بعد موت ابي طالب الى هجرة اوطانهم والتجأوا الى المدينة وما زالوا فيها مستضعفين لا يؤبه لهم مدةً ولكنهم تقوّوا سنة بعد سنة ولم يمضِ على هجرة رسولهم عشر سنين حتى عمت دعوتهم معظم البلاد العربية وشايعهم اغلب اهليها

نعود فنقول افرض ان غاب عنا تفاصيل هذه الدولة ولاسيما اول نشأتها ولم يبقَ لنا عنها الاَّ آثار متفرقة هنا وهناك كهذه التي لنا عن الحبشيين الآن — افما كان يجوز ان يقوم مثل العلامة سايس المستشرق الشهير وبناء على بعض الآثار التي كشفتها لهُ الايام في السند والتركستان وفي خراسان وكرمان وفارس والعراق يقول ان هذه الدولة العظيمة الازهي طورانية او اريانية منشؤها في تركستان شرقي بحر قزبين او على مقربة من ضفافهِ الجنوبية او الجنوبية الشرقية

ان ذلك ليس ببعيد اصلاً ولا يقدح بعلم الاستاذ سايس وفضلهِ ان يذهب الى مثل هذا الرأي ولكنّ مثلنا الدارج يقول الحصاة الصغيرة تسند خابية وانا اشير الآن الى هذه الحصاة من التاريخ البابلي التي حملتني ابتداء على ان اقول ما قلتهُ في اصل هذه الامة الحبشية العظيمة

جبر ضومط

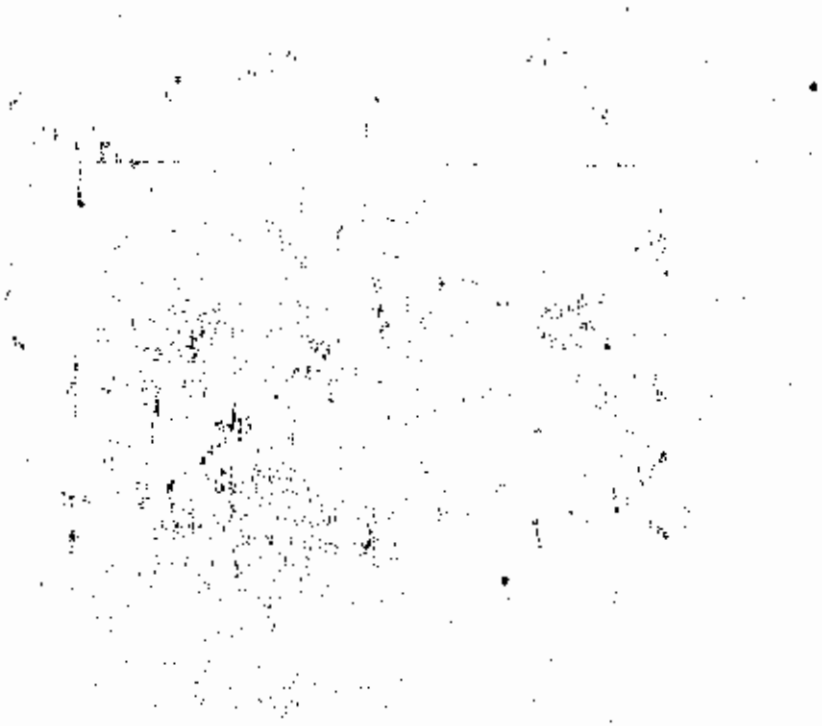

السر عباس عبد البهاء

مقتطف يناير ١٩٣٢

امام الصفحة ٥٧